مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث "كوتر" CAWTAR	الموضوع : تقرير الشاة العربية للزواج	الرقم :
	المصدر : النهار	البلد : لبنان
	التاريخ : 06 - 12 - 2003 - "ص 15"	

عاشت تجربة زواج فاشلة

وعادت إلى منزل ذويها نادمة

«مراهقة» لم تعد قادرة على

نظم الشعر وترفض الزواج ثانية

هذه الشهادة لمراهقة لبنانية تدعى «زينب» تزوجت مبكراً وهي في الثالثة عشرة من عمرها في ظروف ملتبسة بعض الشيء إذ ارتبطت برجل كرهته خلال فترة الخطوبة وتعرض لها بالضرب أثناء الزواج.

«زينب» تتحدث عن معاناتها، غرامها، متاعبها مع الأيام ومعايشتها لمرحلة بلوغها، مفهومها للصداقة بين الجنسين، وضع المرأة في لبنان وعن هواياتها.

هذه الشهادة نموذج من شهادات لمراهقات ومراهقين تحت عنوان «قوس قزح» الذي أعد بناءً على تقرير تنمية المرأة العربية من قبل مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث (كوثر)

وبجهد منسق التقرير أديب نعمة وعدد من المؤسسات: صندوق الأمم المتحدة للسكان والاتحاد الأوروبي، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي وبرنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية والبنك الدولي ومكتب تونس لليونيسيف وصندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة:

«زينب» فتاة ريفية جميلة بمقاييس الفئة التي تنتمي إليها، فهي شقراء وزرقاء العينين، توشك أن تدخل عامها الثامن عشر بعد أشهر قليلة. وهي مسلمة سنية تنتمي إلى أسرة وفيرة العدد يعيلها أب يعمل سائقاً لحافلة مدرسية وأم ربة بيت. وهي الثامنة في الترتيب بين أحد عشر شقيقاً، هم أربع أخوات وستة إخوة. يعيشون جميعاً في احدى المناطق اللبنانية الأكثر

حرماناً وإهمالاً في شمال لبنان. وتملك الأسرة دكانا صغيراً قرب منزلها تدير شؤونه الأخت الكبرى التي تزوجت وهي في الثامنة والعشرين من عمرها.

تزوجت «زينب» مبكراً وهي تودع عامها الثالث عشر بعد خطبة استمرت خمسة أشهر. كانت تزاول تعليمها الإعدادي في الصف الأول منه. لكنها رسبت رغم أنها كانت متفوقة وترتيبها الأولى دائماً. ومع أنها نجحت في العام الذي يليه، إلا أنها لم تعد تحب المدرسة بعد رسوبها. أحبت معلماتها كثيراً خاصة معلمة اللغة العربية التي كانت قريبة من قلب «زينب» وأحبت مادة اللغة العربية وبرعت فيها.

«كل بنت تقع بتجربة جهل ... أو حب»

أغرمت «زينب» بابن عمها وهي في الثالثة عشرة من العمر عن «جهل» منها - كما تقول - في الوقت الذي وقع في غرامها ابن الجيران الطائش «والجهلان» والعاطل عن العمل. لكنها لم تعره اهتماماً، فهي ترغب بالزواج من ابن عمها الذي يكبرها بتسع سنوات. ولما علمت الأم بموضوع ابن الجيران وبانه يهدد «باختطاف» ابنتها، سارعت إلى تزويجها له بعدما اعترضت أيضاً على ابن عم «زينب»، لاعتقادها بأنه قد يشبه أباه المزواج الذي تزوج وطلق ست مرات.

وتمت الخطبة تحت إلحاح والدة عريس المستقبل التي تربطها علاقة صداقة بأم «زينب»، فقد كانت تبيع لهم الملابس من وقت لآخر. وبدا العريس الذي يكبرها بست سنوات عاقلاً. لم تره «زينب» من قبل، وتم الاتفاق بين الأسرتين بناء على رغبة خاصة من أمها. ولم تشعر «زينب» بأية عاطفة نحوه خلال فترة الخطوبة بل كرهته وطلبت منه أن يتركها، فقد وجدته بلا شخصية وأقرب إلى المرأة منه إلى الرجل. كان الوقت قد فات. فلا تسمح الأعراف في قرية «زينب» برفض الخطيب بعد اعلان الموافقة عليه، ومن العيب أن يحدث هذا بعد الخطبة. لم تخبر أمها بمشاعرها تجاه خطيبها إذ أنها كانت مقتنعة به. وفكرت بأن أمها ربما تكون أدرى بمصلحة ابنتها أكثر منها.

سكنت «زينب» بعد زفافها في منزل صغير. وضايقها كثيراً أنها لم تتسلم مطلقاً مفتاح منزلها خلال سنوات زواجها الثلاث رغم شكواها لوالدتها. ولم يكن المنزل مجهزاً ببراد أو تلفزيون أو أي شيء من هذا القبيل. زوجها يعمل في النجارة ويتقاضى ١٢٠ الف ليرة أسبوعياً (ما يعادل ثمانين دولاراً أميركياً) تذهب كلها إلى يد والدته. كان بخيلاً كما تصفه، ولم يكن يشتري شيئاً لمنزله إلا بعد عراك وخصام، حتى أن «زينب» تتناول وجبات طعامها في منزل أهلها وتقضي جل وقتها عندهم. وكانت معظم مشاكلها معه بسبب رغبتها في زيارة أسرتها. وكان يضربها، لكنه لم يكن «قاسياً جداً» عليها على حد تعبيرها.

لم تشعر «زينب» يوماً أن لديها بيتاً أو زوجاً يملك استقلالية في شخصيته وتفكيره وماله، بل كانت تبعيته لأمه عمياء، حتى أنه كان يطلب منها (أمه) نفقات تنقله مع «زينب» إلى قريتها. ولم تحب زوجها بعد الزواج بل كرهته منذ أول يوم رأته فيه، لا بل انها كما تؤكد، لم تحبه أصلاً كي تكرهه فهو «أمر الله وصار». ولم تشعر كذلك بالسعادة معه على فراش الزوجية فهذا «الشيء» لا يهمها. فالجنس أمر عادي بالنسبة إليها و«مش حلو». لكنها توافق على أن الأمر ربما يكون مختلفاً مع شخص تحبه. فتوجد نساء لا يمكنهن العيش دون رجل، غير أن «زينب» لا تعتبر نفسها ضمنهن.

أنا أكره كل إنسان يقول لي أنت حلوة

تغيرت معاملة حماة «زينب» لها كثيراً بعد الزواج، فأصبحت متشددة معها ووضعتها تحت رقابتها. ولم تكن تسمح لها بالخروج للتسوق إلا برفقتها. فحماتها لم تكن تثق بها كما هو حال أهالي حي «باب التبانة» بطرابلس حيث تسكن عائلة زوجها إذ لا يثقون بالكنة ولا بالفتاة. كما استولت الحماة على جزء من ذهب «زينب» وباعته.

تفاقمت متاعبها مع الأيام، لكن أشدها قسوة كانت المحاولات الفاشلة لشقيق زوجها الأعزب للنيل منها والتحرش بها والاعتداء عليها في عقر دارها. ظلت

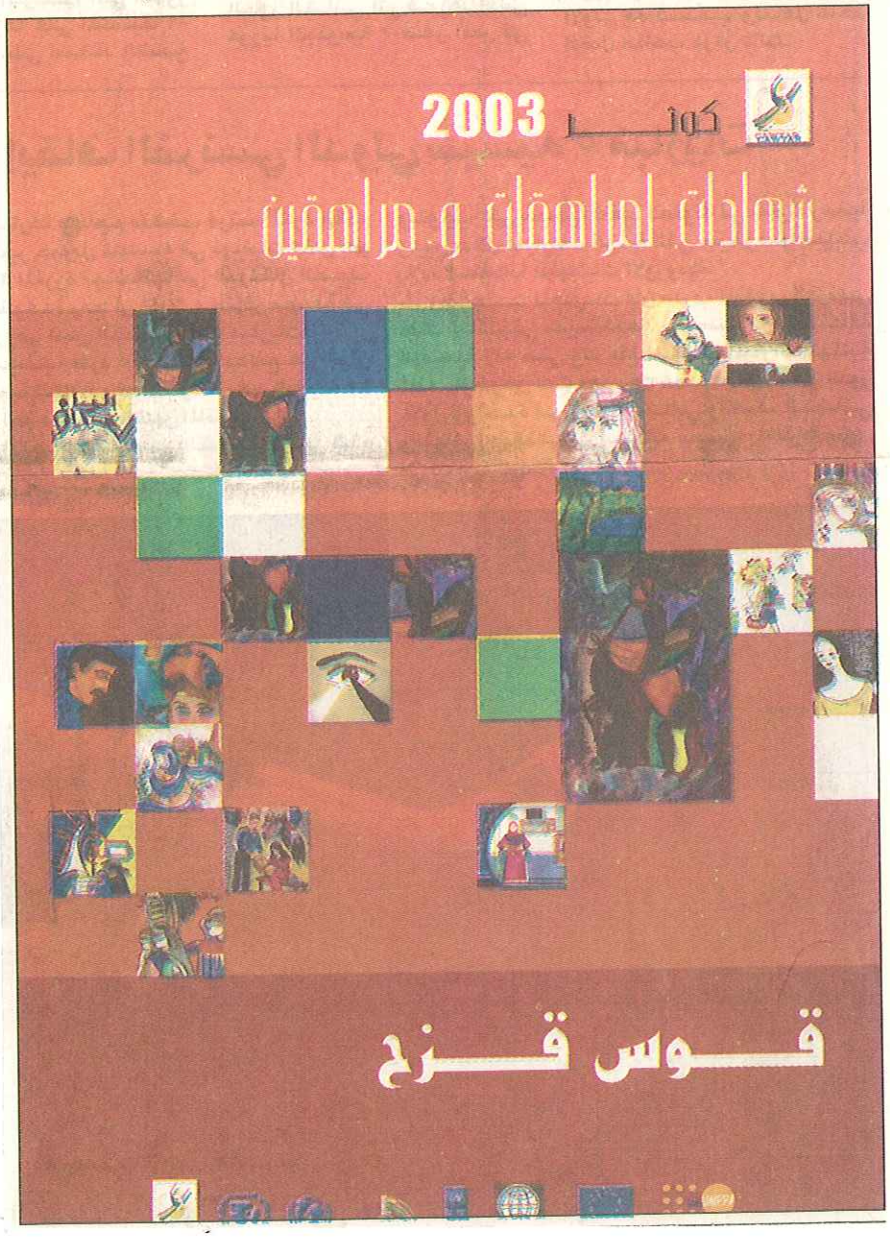

تقاومه بشراسة مرات عديدة وتدافع عن نفسها بالسكين تارة، وبالمقص تارة أخرى، وتهدده من أجل حماية نفسها. وكانت تعتقد أن أم زوجها هي من يقف وراء ما يحدث لها وإلا لما أعطت شقيق زوجها مفتاح منزل «زينب» ليدخل عليها متى أراد. لم تكن تستطيع الصراخ، فالناس لن تسمعها كما تظن وليس أمامها سوى المكوث خلف الأبواب المغلقة.

كان موقف زوج «زينب» سلبياً مما يجري إلى حد شعرت معه «بالقرف» فلم يحرك ساكناً لردع شقيقه ولم يفعل شيئاً. «العمى» بهذه الكلمة عبّرت عن سخطها من تصرفه. واقتصرت والدتها بعد سماع شكواها على نصحها بالصبر «وطول البال» وأن لا «تجرّس» البنت نفسها بين الناس أي تفضحها بينهم. ولم ينته الأمر إلا بعد أن علم والد «زينب» بما يحدث فأعادها إلى كنفه.

تشعر «زينب» بعد عامين من انتظارها لحكم المحكمة بالطلاق بأنها نادمة لعودتها إلى منزل أهلها لأنها تعتقد أنها سببت لهم الكثير من المشاكل، بل صارت هي مشكلة في حدّ ذاتها. لأن المرأة كما تظن، تعود غريبة إلى منزل أسرتها بعد فراق الزواج إضافة إلى كلام الناس، لكنها تبدي ارتياحها لأنها لم تنجب أطفالاً يأخذونهم منها بعد أن تكون قد تعلقت بهم. وتعود «زينب» لتعتقد بأنها لو رزقت بأبناء ربما لما حصل كل هذا. فحماتها علمت بعدم قدرة ابنها على الإنجاب، وخوفاً من طلب «زينب» للطلاق، بادرت أسرة الزوج إلى اتهام «زينب» بالتقصير في واجباتها الزوجية، بل وتلفيق تهمة الخيانة لها في محاولة للتملص من دفع مؤخر الصداق الضخم البالغ ٣٠ مليون ليرة لبنانية (٢٠ ألف دولار تقريباً). وهي ثروة لا بأس بها في تلك الأوساط الريفية المحرومة.

فرحت لبروز صدري

أدركت «زينب» مرحلة البلوغ في العاشرة من عمرها، وقد أفزعها الأمر في البداية فهرعت إلى أمها التي طمأنتها وأخبرتها بأن هذه سنّة الحياة. ويعني ذلك أنها ستتزوج وتنجب أطفالاً. وتتذكر أن والدتها أطلقت الزغاريد فرحاً، لكنها لم تخبر أحداً من الجيران لاعتقاد سائد بأن إخبارهم سيحد من نمو الفتاة وطولها. أحست «زينب» بعدها أنها تذوب وتصبح نحيفة، غير أن ما أفرحها كان بروز صدرها.

كانت تجد نفسها قبل زواجها فتاة صغيرة لافتة للأنظار تسر كلما نظر إليها شاب، وكثيرون هم الشباب الذين يتطلعون إلى «زينب»، فهذا يرمي لها بوردة، و ذاك برسالة، وآخر يرغب في محادثتها، وهي قد تقبل برسالة لتقرأها فقط ثم تعيدها إلى صاحبها. كانت «زينب» تفكر بعقلها رغم صغر سنها، وتقول لنفسها إن من يريد فتاة فعليه «أن يدخل من الباب» لذا لم تكن تقبل التحدث مع أي منهم.

أنا أكره حالي

«زينب» تعتقد أن التعرف على شعور الحب يكون بما تحس به القلوب. فالقلب «يدق» كلما رأى الحبيب. ولم تكن تشعر بأن حبيبها وإبن عمها كانت لديه «غلاظة» أي ثقل في الكلام أو المطالب، بل كان لطيفاً ومهذباً دون «وساخة». كان يقول لها انها جميلة وكانت تجد نفسها كذلك. وهي لا تجد نفسها بعد زواجها «بشعة» لكنها يئست، فلا تنظر إلى نفسها في المرآة ولا تحب وجهها، بل صارت تكره كل من يقول لها إنها جميلة، لكنها تقبل من صديقاتها أن يصفنها «بالحبوبة».

ليست لـ «زينب» صديقات كثيرات. فلديها صديقة وحيدة في قريتها تشكو لها حالها، غير أن ما أحزنها كان منع أهل صديقتها لابنتهم من زيارة «زينب» بعد انفصالها عن زوجها. وعندما كانت متزوجة كانت «زينب» تجلس إلى «سلفتيها» الإثنتين لأنها كانت تشعر بالارتياح نحوهما. لكن علاقاتها بهما انقطعت. وتوجد اليوم صديقة جديدة لـ «زينب» «نصوحة» و«حبابة» تأتمنها على أسرارها وتثق بها.

لا تبوح لأمها بأي شيء، فهي تشعر في قرارة نفسها أن والدتها هي المتسببة في كل ما جرى لها، ولن تتوجه إليها إذا تكلمت معها، سوى باللوم الشديد. ولن تبالي بمشاعرها إذا أحست بألمها من لوم «زينب» لها، «تصطفل وخليها تتعذب» كما تقول «زينب» «فذنبي في رقبتها».

تنظر «زينب» إلى الصداقة بين الجنسين على أنها ممكنة، وتعتقد أن حياتها وعلاقاتها سوف تتحسن لو أنها طلقت. وهي ترى أنه لا يوجد تمييز بين الفتاة والشاب في محيطها بل إن «البنت بمائة صبي». ومع هذا، فلكل من الجنسين دوره في المجتمع، فلا يخطر على بال «زينب» أن يقوم الرجل بأعمال المنزل إلا في حالة انهماك المرأة في أعمالها، لأن دور الرجل اقتصادي في الأساس. ويمكن للمرأة أن تعمل خارج المنزل وإن كانت الأعراف في الريف تعتبر أن المرأة التي لا تعمل هي ذات مكانة رفيعة، لأن عمل المرأة هو غالباً عنوان الفقر والحاجة. و«زينب» تحمد الله على أنه لا يوجد لديهم حقل لكي تعمل فيه، فمثل هذا العمل يكون «اضطرارياً» ومن تعمل في الحقل من النساء فهي تستحق الشفقة، ذلك أن الفتاة تضطر للعمل لكي تصرف على نفسها. وربما قلّل هذا الأمر، حسب «زينب»، من فرص الزواج و«الله يستر عليها». وهي ترى أن كل شاب أعجب بفتاة فلن يهمه ماضيها أو إن كانت تعمل في الأرض، وكل فتاة ونصيبها.

«قرفت» من الزواج

العمل لدى «زينب» لا يعني الكثير، فهي لا تحتاج إلى شيء لأن والدتها توفر لها كل ما تريد. وهي بدورها لا تأخذ إلا ما تحتاج إليه. إنها تشعر أنها مكتفية مادياً والمال تافه في نظرها رغم اعترافها بحاجة الجميع إلى المال، إلا أن الإنسان القنوع يكتفي بالقليل. و«زينب» لا تعرف ماذا ستفعل بالمال الوفير لو حصلت عليه، فلم تفكر قبلاً بهذا. لكنها لو حصلت على مهرها فسوف ترسل والديها إلى الحج وتحتفظ بما تبقى منه في أحد البنوك حتى تحتاج إليه.

وضع المرأة في لبنان كما تفهمه «زينب» هو أن كل

رجل يحب امرأة عليه أن يتزوجها، ولو عاشا في غرفة وحيدة. ومن هذا الزواج توجد الأسرة والأبناء. وهكذا تكون الحياة أحلى والأمومة في نظرها تجعل المرأة أكثر وعياً واتزاناً. وهي تعتقد أنها قبلت بالزواج فقط من أجل الأبناء. ولو رزقت بأطفال فسوف تربيهم بكل «حنية» وليس كما ربيت هي، حين حرمها زواجها المبكر من حب الأبوين وحنانهما. وهي ستترك الفرصة لابنتها لكي تكمل تعليمها وتختار بكل حرية القبول أو الرفض لكل من يتقدم لخطبتها. وكم تمنت «زنيب» لو أنها تزوجت ممن أحبت لكنها «قرفت» من الزواج ولن تتزوج مرة ثانية، بل وصل بها الأمر إلى تحذير شقيقتها ذات الـ ١٤ ربيعاً من الزواج خاصة عندما تكون غاضبة، لكنها تعود فتوضح لها بان الرجال ليسوا سواء.

لا توجد مشاريع لدى «زينب» سوى أنها تفكر بارتداء الملابس الطويلة والتوقف عن الذهاب إلى الحفلات. ورغم أن ملابسها طويلة ومحتشمة وتضع غطاء للرأس، إلا أنها تريد أن ترتدي الملابس «الشرعية» أو «الحجاب الإسلامي» فإذا الله أراد فهو «أربح لها» كما تقول. ولم تفكر بهذا الأمر بفعل تأثير أحد عليها، فهي تقوم بواجباتها الدينية وترى أن الدين جميل ومن الأفضل أن تتستر المرأة. وهي لا تقرأ القرآن ولكن تقرأ قصص الأنبياء.

ومع أنها تنوي أن تتحجب، إلا أن ملابسها تظل أهم شيء بالنسبة إليها فما زالت إلى الآن تهتم بمظهرها وتذهب إلى شراء ثيابها مع أختها، فلم يسبق لها أن ذهبت يوماً بمفردها لاختيار ملابسها.

أحب كثيراً ترتيب الغسيل وهوايتي الكوي

وتقضي «زنيب» أوقات فراغها في المنزل. فتقوم بفعل كل ما يخطر على بالها، تنظف البيت وتغسل الثياب وتكويها، وهي المسؤولة عملياً عن هذه الأعمال التي تستمتع بأدائها على أنغام الموسيقى الصاخبة «المصروعة». أما الأغاني الرومانسية «الحزينة»، فتفضل سماعها وهي في حالة جلوس واسترخاء. وهي تحب الطعام التقليدي ولا تفضل الأطعمة الجاهزة وتتبع نظام الحمية الغذائية أو «الريجيم» لأنها تشعر أن جسمها أكثر ميلاً إلى البدانة، بينما هي تحرص على أن تكون أنيقة ونحيفة رغم أنها لا تمارس أية رياضة ولا تحب الرقص ولم يسبق لها أن رقصت قبلاً.

لم تذهب إلى السينما أبداً. وهي تشاهد التلفزيون يومياً وتتابع باهتمام المسلسلات المكسيكية. وهي لا تشاهد الأخبار ولا تحبها أبداً ولا تقرأ الصحف ولم تشاهد جهاز «كمبيوتر» من قبل. تقرأ الكتب والروايات كلما توافرت لها، خاصة قصص الحب والمجلات ومؤلفات جبران، وقد كتبت «زينب» الشعر في فترة مبكرة من حياتها خاصة لزوجها، وكان لها دفتر أشعار تركته في منزله. لكنها لم تعد تملك «الفكرة» والقدرة على نظم الشعر بعد تجربة زواجها الفاشلة.

لا تطيق «زينب» فكرة السفر لأنه يعني عندها الغربة. وهي لا تحب أن تعيش بمفردها. وإذا أرادت السفر يوماً، فسوف تسافر إلى أستراليا لأنها تسمع بأنها بلاد جميلة.